تمهيد

جادا، وبيث، وماركوس ثلاثة أفراد ذوي إعاقات نمائية يشكلون أهمية خاصة في حياتي. لقد وُلد هؤلاء الثلاثة في مناطق مختلفة، وكانت الخبرات التي خضناها معًا مميزة ومختلفة. نشأ ماركوس (ليس اسمه الحقيقي) في إحدى المؤسسات، وكنت أنا جزءًا من حياته في عقده الثاني من العمر. وكانت الفكرة الراسخة آنذاك هي أن الأطفال من نوع ماركوس يمكن أن يكونوا أعضاءً يشاركون مشاركة كاملة في المجتمع، بحيث يذهبون إلى المدرسة وتكون لهم حياة طبيعية. كانت الأنشطة التي قمت بها مع ماركوس في الغالب جديدة لكل منا، فلا زلت أذكر سروره عندما تعلّم أنه يمكنه أن يطلب الأشياء بالإشارة، وكذلك سعادتنا المشتركة عندما حاولنا تجربة زيارة أماكن مختلفة في المجتمع، كما أذكر أنه استمتع كثيراً حين ذهبنا لغسيل السيارة في محطة الغسيل الآلي، وضحكنا سويًّا عندما تقاطرت علينا قطرات المياه من النافذة التي كانت مفتوحة جزئياً. لقد كنت أخصائي المعالجة بالترفيه recreational therapist لماركوس، وبعد عامين من عملي معه، تحديداً وهو في الرابعة عشرة من عمره، التحق بالمدرسة لأول مرة في حياته، وذلك بعد صدور القانون العام رقم ٩٤-١٤٢ المعروف بـ"قانون التعليم لكل الأطفال المعاقين.

لقد رأى كثيرون منكم بيث في مقاطع الفيديو التي نشرتها في ورش العمل، أو في الصور التي أوردتها في مقدمات أولى كتاباتي، وهي ابنة أخي. تعاني بيث من متلازمة أنجلمان، وقد كان والداها متسامحين حين سمحا لي بنشر قصتها. كانت بيث، فضلاً عن أساتذتي الأوائل مارتي سنيل وأديل رينزاجليا (Marty Snell, and Adelle Renzaglia)، من أهم المُعلّمين في حياتي. فكنت أنا وبيث نقوم بتطبيق كل فكرة جديدة أتعلمها من خلال الأدبيات، وذلك في "معسكر العمة ديان الصيفي". لقد علمتني بيث كيف أن بعض طرق الاتصال البديل والمعزز تعمل أفضل من غيرها، والسبب وراء ذلك، ومدى قوة التعليم النظامي في تحسين نمط الحياة (مثلاً عندما بدأت تتعلم صعود السلم)، ولماذا يؤدي تعزيز السلوك الإيجابي إلى تحسين الحياة لكل المهتمين، إضافة إلى مزايا التخطيط مع الفريق، وسبب أهمية الاختيار وصنع القرارات بصورة شخصية (وكما هو الحال مع براودر، وُلدت بيث ولديها جينات قوية لحب صنع القرار). حظيت بيث بأفضل تعليم لمهارات الحياة المجتمعية، وحصلت على الخدمات المدرسية منذ أن كانت في عامها الثاني، وهي الآن شابة راشدة، وتتمتع بحياة مستقرة. وتعلمت بيث أيضاً مزايا التخطيط المتأني، وهو ما تعرفت عليه من واقع خبرتي بالعمل مع التلاميذ في سن الدراسة والبالغين في الحياة المدعومة.

أما جادا (وهذا ليس اسمها الحقيقي) فهي من علمتني ما يمكن أن يحققه تعلم القراءة والكتابة في وقت مبكر. فعندما التقيتها لأول مرة، كان معلمها يشرح لها أول دروسها لتعلم القراءة والكتابة على الإطلاق. تم إعداد برنامج تربوي فردي لجادا، اشتمل على كثير من المهارات المعيشية اليومية مثل تناول الطعام بمفردها، ودخول الحمام، والتواصل بشأن الحاجات الأساسية، لكن لم تكن هناك توقعات بأنها ستتعلم القراءة. وللأمانة، فإننا لم نبدأ بهذا الهدف إلا أن جادا فاقت كل توقعاتنا. أظهرت جادا أثناء جلسات القراءة الجهرية قدرة ملحوظة على الفهم، وبدأت تتعرف على الصور والكلمات. كانت جادا من أوائل التلاميذ الذين درسوا منهج بناء مهارات القراءة المبكرة Early Literacy Skills Builder، الذي أعدته جامعة شمال كاليفورنيا، في شارلوت، ولم تقف جادا على حد إتقان كافة المستويات، بل انتقلت إلى إتقان القراءة، وهي الآن تجيد قراءة قطع الفهم، وكذلك أتقنت مهارات العناية بالذات في تلك السنوات. لو أننا توقعنا ذلك فقط من جادا لكان هذا تقليلاً لها. كان من الأسباب التي جعلتنا لا نتوقع من جادا أن تتعلم القراءة هو أن مهاراتها في التواصل كانت محدودة للغاية عندما بدأت المرحلة الابتدائية. فعندما كانت جادا في سن الخامسة لم تكن تستطيع النطق، كما أنها لم تكن تسير على نسق واحد في التعرف على الصور، ثم بدأت تتعلم استخدام الصور والكلمات لإظهار ما تعلمته في المواد الدراسية، وبدأت تظهر بعض الأصوات الكلامية مع بداية عملها في الصوتيات، وأصبح كلامها مفهومًا. والآن تطبق جادا هذه المهارات في دراسة العلوم والرياضيات وغيرهما من المواد، ومع دخول جادا السنوات الانتقالية بدأت تتعلم المهارات المتعلقة بوظيفة المستقبل، ولديها العديد من الخيارات لأنها تستطيع القراءة.

لقد علمتنا خبراتنا المتواصلة مع الأفراد ذوي الإعاقات النمائية الشديدة ومعلميهم أن نضع لأنفسنا أهدافاً طموحة. ويعكس كتابنا هذا أكثر التوقعات الطموحة حتى يومنا هذا، وهي التي سيحقق التلاميذ ذوي الإعاقات النمائية المتوسطة والشديدة فيها تقدمًا من خلال المناهج العامة، مع إتقان المهارات الحياتية الأساسية من أجل بناء أساس قوي للعيش في المجتمع. كان دخول باب المدرسة لأول مرة بالنسبة لماركوس أمرًا مثيرًا، وبالنسبة لبيث كان صعود السلم وخلع معطفها لحظات لا تنسى، وأما جادا فكان تعلمها القراءة فتحاً لآفاق جديدة بالنسبة لها. إننا نتطلع إلى مستقبل يجد فيه التلاميذ ذوي الإعاقات المتوسطة والشديدة خيارات ترفيهية ووظيفية ومجتمعية جديدة، لأن لديهم المهارات ووسائل الدعم للحوار في حياتهم اليومية، بالإضافة إلى المعرفة الأكاديمية التي تمكنهم من المشاركة الكاملة في العالم.

يعتبر هذا الكتاب مكملاً لكتاب "المنهج والتقييم للتلاميذ ذوي الإعاقات المتوسطة والشديدة" (Browder,2001). يتناول الكتاب الذي بين أيدينا المصادر والإرشادات الجديدة التي ظهرت بخصوص تعليم المحتويات الأكاديمية. ويقدم أشكال التقييم التي يحتاجها المعلمون: تقييم البرنامج التربوي الفردي، ومتابعة التقدم، والتقييم البديل، وتخطيط دعم السلوك الإيجابي، وتقييم الانتقال. وقد تم تكرار بعض الفقرات والأمثلة من الكتاب السابق للحفاظ على المعلومات الأساسية، لكن معظم المعلومات الواردة في هذا الكتاب جديدة.

ورغم وجود العديد من الكتب الجيدة التي تتناول الإعاقات الشديدة، فإن هدفنا هو تقديم عمل يقدم تغطية بديلة متوازنة لتعلم كل من المهارات الأكاديمية والحياتية، وهناك فصول مخصصة عن القراءة والعلوم والرياضيات والدراسات الاجتماعية، وكذلك حول الأسس والمهارات الحياتية. وقد رأينا أن نعنون الكتاب بـ "تحقيق التوازن"، لأننا نعرف أن هذا هو التحدي الذي يواجه المعلمين بخصوص أولويات المناهج المتغيرة اليوم. ونوضح في كافة الفصول التحدي الذي يعوق عملية التوازن الذي يواجه المعلمين (على سبيل المثال، بين تعليم مهارات المعيشة اليومية والمهارات الأكاديمية) وبعض الطرق الممكنة للتغلب على هذا التحدي. هذه الأفكار التي تعرضها الفصول هي نتاج البحوث والممارسة، وقمنا متى أمكن بتوضيح الأبحاث التي تدعم الإرشادات المقدمة، حيث نعتقد أنه من المهم للمعلمين أن تكون لديهم إرشادات لها دليل على فاعليتها، ثم قمنا بالبناء على هذه القاعدة البحثية باستخدام الأفكار التي نتعرف عليها من خلال عملنا مع المعلمين في المدارس. وقد قمنا بدعوة أحد المساهمين في كل فصل ليحاول مساعدة أحد المعلمين في محاولة تجربة الإرشادات التي يقدمها الفصل، ولتوضيح هذه الأفكار قمنا بعرض بعض الصور المختصرة، وهذه الأمثلة غير حقيقية، ما لم يشار إليها بغير ذلك، ولكنها ليست وهمًا، بمعنى أننا استخدمنا تركيبة بدمج بعض الخبرات الفردية الحقيقية لتوضيح النقطة المقصودة، بالرغم من أن المثال نفسه لا يمثل واقعة بعينها. ولقد كان من المهم لنا دائمًا أن نكرم الأشخاص ذوي الإعاقات الشديدة من خلال مشاركة إنجاز التلاميذ بأكبر قدر ممكن من المصداقية.

يعكس هذا الكتاب فلسفتنا في تحليل السلوك التطبيقي وكذلك البحوث. كما أننا نعرض لكم الأهمية التي نراها في إعطاء الأفراد ذوي الإعاقات الشديدة الفرصة الكاملة للمشاركة في المدرسة والمجتمع، وكذلك فرصة صنع القرارات. إننا نطمح إلى تشجيع هذه الأهداف من خلال عرض نماذج للتعلم في الفصول العامة، والتلقين على وضع الخطط بقيادة التلميذ نفسه، واستخدام الخيارات الوظيفية المجتمعية، ولعلمنا أن هناك فرصة لتحقيق هذه الأهداف لكافة التلاميذ، فقد حاولنا عرض خطوط إرشادية عامة مع إبداء مساحة كافية من المرونة لتصلح في سياقات واسعة المدى لمواجهة التحديات الخاصة بذوي الإعاقات التي قد يواجهها المعلمين.

لقد أعددنا هذا الكتاب لهدفين الأول يتمثل في إعداد العاملين في مرحلة ما قبل الخدمة، والثاني يتمثل في أن يكون مصدرًا للمهنيين من ذوي الخبرة على حد سواء. نستخدم مصطلح "المعلم" عندما نصف نشاطًا يقوم على تنفيذه عادة أحد المهنيين الرئيسيين، وفي بعض الأحيان نستخدم مصطلحي "فريق" و"تربوي" من أجل تعزيز حقيقة أن كثيرًا من الأفكار سيتم تنفيذها من خلال فريق متعدد التخصصات. وقبل إرسال هذا الكتاب ليتم طبعه، قمنا بإجراء اختبار ميداني للفصول في كل من الفصول الجامعية والدراسات العليا على مستوى برامج ترخيص المعلمين قبل الخدمة، وتلقينا ردود فعل إيجابية. ونأمل أن تجدوا أنتم كذلك الكتاب مفيدًا، سواء كنتم حديثي عهد بالتدريس، أو بالتدريس للتلاميذ ذوي الإعاقات المتوسطة والشديدة، أو على استعداد لمجرد تلقي بعض الأفكار الجديدة. وسيكون من دواعي سرورنا أن نتلقى منكم ملاحظاتكم وآرائكم عن الكتاب.

ديان براودر

فريد سبونر